السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٢٢)

« إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي! »

الدكتور
محمد عمر الحاجي

obeikandl.com

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة
يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

obeikandl.com

... وَاشْتَدَّ أَذَىٰ قُرَيْشٍ!!

تَعَالَوْا أَيُّها الأَحِبّةُ البَرَاعِمُ لِنَرىٰ مَاذَا حَدَثَ لِلرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ أَنْ مَاتَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَمَاتَتْ زَوْجُهُ خَدِيْجَةُ رَضِيَ الله عَنْهَا .

لَقَدْ تَجَرَّأَ عَلَيْهِ السُّفَهاءُ ، وَعُتَاةُ قُرَيْشٍ ، فَرَاحُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ ، وَيَنَالُونَ مِنْهُ أَمَامَ النَّاسِ!

وَذَاتَ يَوْمٍ ، وَبَيْنَما كانَ الرَّسُولُ يَطُوفُ بِالبَيْتِ الحَرَام ؛ إِذَا بِوَاحِدٍ مِنْ سُفَهَائِهِمْ يَحْمِلُ تُرَاباً في كفِّهِ ، فَاقْتَرَبَ مِنَ الرَّسُولِ ونَثَر التُّرَابَ عَلَىٰ رَأْسِهِ ، فَقَهْقَهَ السَّفِيْهُ... وَضَحِكَ مَعَهُ أَصْحَابُهُ!

وَلمَّا رَأَتْ ذَلِكَ ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ الله عَنْها ، رَاحَتْ تَغْسِلُ التُّرَابَ عَنْ رَأْسِهِ صَلَواتُ الله عَلَيْهِ وَهِيَ تَبْكِيْ .

وَرَسُولُ الله يَقُولُ لَها : « لاَ تَبْكِي يَابُنَيَّةُ ، فَإِنَّ الله مَانِعٌ أَبَاكِ ، وَمَا نَالَتْ مِنِّي قُرَيْشٌ شَيْئاً أَكْرَهُهُ حَتَّىٰ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ » .

وَذَاتَ مَرَّةٍ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي في حِجْرِ الكَعْبَةِ ؛ إِذْ أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ أَبي مُعَيْطٍ ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ في عُنُقِ الرَّسُولِ ، وخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيْداً ، حتَّىٰ غُشِيَ عَلَيْهِ!

فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فَجَعَل يُنَادِي ، وَيَقُولُ : وَيْلَكُمْ ، أَتَقْتُلُوْنَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ الله ؟! ثُمَّ أَخَذَ عُقْبَةَ مِنْ مَنْكِبَيْهِ ، وَدَفَعَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ .

« اللَّهُمَّ أَرِني ٱليَوْمَ آيَةً..! »

وَاشْتَدَّ الأَذَى عَلَى الرَّسُولِ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ ، إِلىٰ دَرَجَةِ : أَنَّه ذَاتَ لَيْلَةٍ خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ إلى بَعْضِ شِعَابِ مَكَّةَ ، وَلمَّا جَلَسَ تَحْتَ شَجَرَةٍ ، رَفَعَ يَدَيْهِ ، وقَالَ : « اللَّهُمَّ أَرِنِي اليَوْمَ آيَةً لا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَهَا » .

فَـأَوْحَـىٰ اللهُ إِلَيْـهِ : ادْعُ أَيَّ أَغْصَـانِ تِلْـكَ الشَّجَرَةِ .

فَدَعَا غُصْنَاً ، فَانْتُزِعَ مِنْ مَكَانِهِ ، وَجَاءَ يَحْفِرُ الأَرَضِ حتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَيْهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « اِرْجِعْ إلى مَكَانِكَ » .

فَرَجَعَ الغُصْنُ حتَّى اسْتَوىٰ كَمَا كَانَ .

فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ : « مَا أُبَالِي مَنْ كَذَّبَنِي بَعْدَ هَذَا مِنْ قَوْمِي » .

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

وَلَـٰكِنْ مَا هُوَ ٱلعَمَلُ ؟!

وَفَكَّـرَ رَسُـولُ الله ﷺ كَثِيْـراً ، ثُـمَّ قَـالَ فـي نَفْسِهِ : إلىٰ مَتَىٰ سَيَظَلُّ أَهْلُ مَكَّةَ بِهَذَا العِنَادِ ، وَهَـٰذِهِ الغِلْظَةِ ؟

وَقَرَّر أَخِيْراً أَنْ يَتَوَجَّهَ إلىٰ الطَّائِفِ ، حَيْثُ بَنُو ثَقِيْفٍ ، عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا أَقَلَّ عِنَاداً ، وَعَدَاوَةً مِنْ قُرَيْشٍ .

وَلَـٰكِنْ كَيْفَ لَهُ أَنْ يُغَادِرَ مَكَّةَ وَكُفَّارُهَا لَهُ بِالمِرْصَادِ ؟!

هَلْ يَخْرُجُ مِنْها مُتَخَفِّياً ، أَمْ يَرْكَبُ خَيْلاً ، وَيَنْطَلِقُ لَيْلاً ؟!

وَهُوَ صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الطَّرِيْقَ مِنْ مَكَّةَ إلىٰ الطَّائِفِ طَوْيلٌ وَعَسِيْرٌ، وَوَعْرٌ!!

* * *

obeikandl.com

فَمَاذَا وَجَدَ فِي الطَّائِفِ ؟!

وَذَاتَ لَيْلَةٍ خَرَجَ الرَّسُولُ ﷺ مُتَخَفِّياً ، وَرَاحَ يَسِيْرُ عَلَىٰ قَدَمَيْهِ ، يَقْطَعُ المَسَافَةَ مُتَحَمِّلاً حَرَارَةَ الشمْسِ ، وَصُعُوبَةَ الطَّرِيْقِ.

حَتَّىٰ إِذَا مَا وَصَل إِلىٰ الطَّائِفِ رَاحَ يَعْرِض عَلَى أَشْرَافِهَا وَزُعَمَائِهَا رِسَالَةَ الله ، فَأَدَّى الأَمَانَةَ ، وَبَلَّغ الرِّسَالَةَ ، وَحاوَرَ النَّاسَ هُنَاكَ ، وَدَعَاهُمْ إلى تَوْحِيْدِ الخَالِقِ ، وَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّ ما يَفْعَلُونَهُ مِنْ عِبَادَةٍ لِلأَصْنَامِ ، وَالأَوْثَانِ أَمْرٌ بَاطِلٌ لا يَتَقَبَّلُه العُقَلاءُ ، إِنَّما هُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ التَّقْلِيْدِ الأَعْمَىٰ ، و... .!!

obeikandl.com

وَاسْتَمَرَّ ﷺ يَدْعُو النَّاسَ ، لا يَكِلُّ ، وَلا يَمَلُّ ، ولا يَرْتَاحُ إلا بَعْضَ السَّاعَاتِ .

وَلَـٰكِنْ مِمَّا يُؤْسَفُ لَهُ أَنَّ أَهْلَ الطَّائِفِ لَمْ يَكُونُوا أَحْسَنَ حَالاً مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ!

فَهَذَا الرَّجُلُ يَتَّهِمُهُ بِأَنَّه سَاحِرٌ ، وَكَذَّابٌ ، وخَطِيْرٌ...!

وَذَاكَ يَقُولُ لَهُ : يَا هَذَا! أَلَمْ يَجِدْ رَبُّكَ أَحَداً يُرْسِلُهُ لَنَا غَيْرَكَ ؟!

والآخَرُ يَنْصَحُ قَوْمَهِ بِالْقَوْلِ : لا تَسْمَعُوا لِهذا الشَّابِّ أَبَداً ، فَإِنَّهُ رَجُلٌ سَاحِرٌ أَوْكاهِنٌ ، وَمَا إِلىٰ هُنَالِكَ .

* * *

... وَفَكَّرَ الرَّسُولُ ﷺ بِالْعَوْدَةِ!!

وَلَمَّا رَأىٰ رَسُولُ الله صلوات الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ : أَنَّهُ لا جَدْوَىٰ مِنْ دَعْوَتِهِمْ أَبَدَاً ؛ قَرَّرَ العَوْدَةَ إلىٰ مَكَّةَ .

وَفَكَّرَ الرَّسُولُ مُتَخَوِّفاً مِنْ مَوْقِفِ أَهْلِ مَكَّةَ مِنْهُ عِنْدَ عَوْدَتِهِ ، فَهُوَ قَدْ ذَهَبَ دُوْنَ عِلْمِهِمْ ومعرفتهم ، كَذَلِكَ فَإِنَّهُمِ إِذَا عَرَفُوا مَا جَرَىٰ لَهُ مَعَ أَهْلِ الطَّائِفِ ؛ شَمِتُوا بِهِ.

* * *

هَيَّا إِلَىٰ بَلَدِكَ مَكَّةَ!!

وَتَشَاوَرَ زُعَمَاءُ الطَّائِفِ فِيْمَا بَيْنَهُمْ ، وَاتَّفَقُوا أَخِيْراً عَلَىٰ طَرْدِ رَسُوْلِ الله ﷺ مِنْ بَلَدِهِمْ!

وَفي صَبِيْحَةِ الْيَوْمِ العَاشِرِ تَوَجَّهَ أَحَدُ زُعَمَائِهِمْ إِلىٰ حَيْثُ رَسُولُ الله ﷺ ، وَهُنَاكَ قَالَ لَهُ بِلَهْجَةٍ قَاسِيَةٍ : يَا مُحَمَّدُ! اخْرُجْ مِنْ بَلَدِنَا وَالْحَقْ بِمَا شِئْتَ مِنَ الأَرْضِ ، فَإِنَّا نَخَافُ عَلَىٰ أَحْدَاثِنَا ، وضُعَفَائِنَا أَنْ تَفْتِنَهُمْ!!

ثُمَّ أَغْرَوا سُفَهاءَهُمْ ، وَعَبِيْدَهُمْ ، وَصِبْيَانَهُمْ ، فَوَقَفُوا عَلَىٰ جَانِبَي الطَّرِيْقِ ، وَرَاحُوا يَتَفَنَّنُونَ في إِيْذَائِهِ ، وَشَتْمِهِ ، وَتَعْذِيْبِهِ!

ثُـمَّ تَطَـوَّرَ الأَمْـرُ أَكْثَـرَ فَـرَاحُـوا يَـرْمُـونَـهُ بِالحِجَارَةِ ، حَتَّى سَالَ دَمُهُ على قَدَمَيْهِ .

وَاسْتَمَرَّتْ مُطَارَدَتُهُ فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ ، حتَّىٰ أَبْعَدُوهُ عَنْ بُيُوتَاتِهِمْ ، وَمَزَارِعِهِمْ .

* * *

obeikandl.com

« إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي...! »

فَمَاذَا فَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ؟

لَقَدْ لَجَأَ إلىٰ بُسْتَانٍ مِنَ البَسَاتِيْنِ الكَبِيْرَةِ ، وَجَلَسَ تَحْتَ شَجَرَةٍ مِنْ شَجَرِهِ ، وَذَلِكَ بِهَدَفِ الرَّاحَةِ .

وهُنَاكَ أَيْقَنَ : أَنَّ أَهْلَ الطَّائِفِ لَمْ يَكُنْ حَالُهُمْ بِأَحْسَن مِنْ حَالِ أَهْلِ مَكَّةَ ، وَلَمْ يَبْقَ أَمَامَهُ إلا بَابُ الكَرِيْمِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالىٰ ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ إلىٰ السَّماءِ وَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي وَقِلَّة حِيْلَتِي ، وَهَوَانِي عَلَىٰ النَّاسِ ، يَا أَرْحَمَ

obeikandl.com

الرَّاحِمِيْن! أَنْتَ رَبُّ المُسْتَضْعَفِيْنَ ، وَأَنْتَ رَبِّي ، إلى مَنْ تَكِلُنِي ؟ إلىٰ بَعِيْدٍ يَتَجهَّمُنِي ؟ أَمْ إلىٰ عَدُوٍّ ملَّكْتَهُ أَمْرِي ؟ إنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلا أُبَالِي ، وَلَـٰكِنَّ عَافِيَتَك أَوْسَعُ لِي. أَعُوْذُ بِنُوْرِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ ، وَصَلُحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيا وَالآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ عَلَيَّ غَضَبَكَ ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سَخَطُكَ ، لَكَ العُتْبَىٰ حتَّى تَرْضىٰ ، وَلا حَوْلَ ، وَلا قُوَّةَ إلا بِكَ » .

وَجَاءَ التَّأيِيْدُ مِنَ الله ، حَيْثُ أَرْسَل لَهُ مَلَكَ الجِبَالِ يَقُولُ لَه : إنَّ الله أَمَرَنِي أَنْ آتِيْكَ ، فَإِنْ أَحْبَبْتَ خَسَفْتُ بِثَقِيْفٍ الأَرْضَ ، أَوْ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الجَبَلَيْنِ ؟!

فَقَالَ نَبِيُّ الرَّحْمَة ﷺ : « بَلْ أَرْجُو أَنْ يَخْرُجَ

مِنْ أَصْلابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لا يُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً » .

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *

obeikandl.com